

جمعية المهندسين الملكية المصرية

« تاسست فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ »

ومعتمدة بمرسوم ملكى بتاريخ ١١ دسمبر سنة ١٩٢٢

﴿ النشرة الثانية للسنة الرابعة ﴾

٣٦

محاضرة

الفن العربى بالاندلس

لحضرة حسين افندى عزى

« ألقيت بجمعية المهندسين الملكية المصريه »

فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٣

الجمعية ليست مسؤلة عما جاء بهذه الصحائف من البيان والآراء

تنشر الجمعية على أعضائها هذه الصحائف للنقد وكل نقد يرسل للجمعية
يجب ان يكتب بوضوح وترفق به الرسومات اللازمة بالحبر الاسود
(شيني) ويرسل برسمها صندوق البريد رقم ٧٥١ بمصر

الفن العربى بالاندلس

مقـــــدمة

من المعلوم أن العرب لما فتحوا الاندلس سنة ٧١٠ م. كانوا في أوج مجدهم وفى أعلى درجات العز والسؤدد وكانوا على جانب عظيم من الحضارة والرقي والعرفان بينما كان الغرب في انحطاط مستمر. وبعد ان استتب لهم الامر فيها شرعوا في تشييد ابنيتهم المختلفة على الطراز العربى فاحضروا لذلك الصناع والعمال والمهندسين المهرة من بغداد ومصر. واحسن وأجمل ما شيدوا مايوجد فى الاربع مقاطعات السفلية وهي سيفيل — كوردوفا — چان والحمراء

وكان من حسن حظي أن توجهت سنة ٩١١ مع بعثة مدرسية لدرس الفـن العربى بالاندلس . فزرنا المقاطعات الاربعة ومن بواعث الاسف وجدنا معظم المباني الضخمة فى المقاطعات الثلاثه الاولى مهدمة أما في الحمـراء فمعظم مبانيها باقية وسبب ذلك انه بعد خروج العرب من الاندلس

ثار حقد الشعب فكان يشعل النيران فيها ويهدم ويخرب بشكل وحشي غير حاسبا أى حساب لقيمة المباني وعظمتها وفائدتها التاريخية

اما الحمراء فكانت العاصمة وكانت آخر ما سلم الى الاندلسيين إذ سقطت في يد الملك فيرديناند والملكة ايزبلا في ٢ يناير سنة ١٤٩٢ فاتخذها مقراً لملكه وبذلك نجد مما أصاب البلاد الاخرى من التلف

الحمراء

ابتدأ فى تشييدها السلطان محمد الاول (الغالب بالله سنة ١٢٣٢ — ١٢٧٢) وهي واقعة على نهر (جزنل) وعلى سفح الجبل الشهير المعروف بسرا نفادا وعلى بعد ستة أميال من عاصمة مقاطعة جرانيدا القديمة — فابتدأ على حسب العادة فى ذلك الزمان ببناء القلعه وبداخلها السراى الملكية وعلى مسافة مايتين متر منها بني المسجد الكبير والسور المحدد للمدينة وتوفى الى رحمة الله قبل اتمام العمل. ومر وقت حتي سنة ١٣٣٣ لم يقم أحد من خلفائه بتكملة العمل حتي تولى

السطان يوسف الاول (المعروف بابى الحجاز) ومن بعده ولده محمد الخامس (الغنى بالله) الذى تم في عهده تشتيد جميع المبانى فكانت تفاخر القاهره و بغداد بحسنها ورونقها يقال أنها أحسن ما بني فى العالم في ذلك الوقت . غير انه لم يبق من مبانيها بحالته الاصلية الا القليل اذ بسبب نقل العاصمة الي مدريد لم تتخـذ الاحتياطات اللازمة لحفظ تلك المبانى الاثريه النادرة الوجود الا من عهد الملك الفونس الثامن حيث أمر بتأليف لجنة لحفظ الاثار العربيه بالاندلس وحيث قامت ببعض الترميمات فى الاماكن المتداعيه ولم يبق من السور الا اجزاء بسيطه وهي الملاصقه للبـوابه العموميه الكبرى والمعروفة ببوابه (العدل) أما السور فيبلغ سمكه ٢٫٢٠ مترا وارتفاعه ثمانية امتار ومبنى بالطوب الاحمر بقوالب كبيرة مقاسها ٠٫٣٠ × ٠٫١٥ × ٠٫٠٨ مترا ومن الغريب ان السور المذكور مبني بهذا السمك بكامل ارتفاعه وينتهي من أعلى على شكل مجرى عرض فارغها ٠٫٨٠ مترا وبعمق ١٫٤٠ مترا ويغلب على ظني أنه صار بناؤه علي هذا الشكل

لاعداده لوقوف العساكر لصد المهاجمين ولا بد وان يكون به جملة ابراج للاستكشاف . اما المونة المستعملة فقد أخذنا منها قطعا استخرجاناها من بين لحامات الطوب بكل صعوبة وحللناها فى المعمل بعدعودتنا للندره فوجدناها مركبة النصف جير والنصف من كسر الطوب الناعم (الحمره) اما طريقة البناء فتشبه الطريقة المعروفة بالفلمنكى أعنى فى ذات المدماك الواحد طوبه أدية وأخرى شناوية — ولم نجد أثر للطلاء بالبياض على بقايا حوائط السور ولكن يستنتج انه كان مطليا بالبياض من وجود أثر له بحوائط البوابة المذكورة سابقا

أما البوابة فمبنيه بالطوب ايضا وترتفع مبانيها عن مبانى السور بقدر أربعة أمتار وسمك حوائطها اربعة امتار ونصفا (شكل ٢) متوجة وجهتها بعقد جميل شكل مخموس

والجزء الواقع ما بين العقدين مسقف بعصلبة عظيمة مبنية بالطوب ايضاً . ويوجد حجرتان احداهما على اليمين والاخرى على اليسار بداخل سمك اكتاف البوابه ومقاس الحجرة ٣٫٠٠ × ٢٫٠٠ تقريبا ومسقوف بعقد نصف اسطوانى

ولكل منهما باب ومزغلان المرموز باحرف (هـ هـ) عَلَى الكروكى احدهما يطل للخارج والآخر الداخل ولا يوجد الآن أثر لابواب أو شبابيك ولكن اتضح لنا وجود ذلك لوجود دساتير خشبية ضمن سمك المباني معدة لذلك. وجدت أعلي العقود الكبيرة تواريخ من رخام أبيض مكتوب عليها آيات قرآنيه بالخط الكوفي الجميل وهذه التواريخ محوطة بترابيع زليزلى جميلة النقش وبالوان ثابتة للآن ومحجوزه ببردورة من الزليزلى أيضا مرسوم عليها اشكال هندسيه تشابهه (الفرت اليونانى) يمر الطريق من البوابه المذكورة الى بوابة ثانيه تعرف الآن (Purta de Vino أى بوابة الخمر) ولم أجد أثرا لاسوار اخرى مجاورة لها وربما كانت من ضمن اقواس النصر العديدة التي بنيت لمناسبات مختلفه وتعلو مبانيها عن سطح الارض عشرة امتار وسمكها ١٫٥٠ مترا وفتحتها ستة امتار ومتوجة بعقد علي شكل نعل الفرس وجميع أسطحها مغطاة بالزليزلي الملون ومعظمه باق للآن ووجدته ملصوقا بمونة الجبس ولكن لونه مائل كثيرا الى السمرة بعد البوابه

المذكوره نجد ميدانا فسيحا يوجد بالجهة اليمنى منه السراى
المعروفه بسراي الجوارى ومعظم مبانيها باق للآن ويوجد
بالجهة اليسرى سراى الملك شارل الخامس والتي اصلها سراى
السلطان محمد الخامس بن يوسف وقام بتغير معظم معالمها
الملك شارل المذكور سنة ١٦١٠ م ويوجد بالجهة البحريه
بالميدان بقايا سراى الحكومات العربية وسراى الحقانية
(بيت القاضي) وسراى المسافرخانه والمعتمدين السياسيين
وهذه تكاد تكون على حالتها الاصلية وهي مكونة من دورين
وترتفع ارضيه الدور الارضى عن أرض الجنينه بقدر ٠٫١٥
مترا والباب العمومي مكسوة حوائطه بالزليزلى وترابيع
الرخام الملونه وعقد فتحة الباب نصف اسطوانى سنجة من
الرخام بشكل مسنن جميل ويؤدى الباب المذكور الى الصالة
الاولى الصغرى مباشرة ويوجد بها ثلاثة أبواب الذى فى
الامام يؤدى الى الصالة الكبرى وهي صالة المجلس والذى
على اليمين ونظيره على اليسار يؤديان الى اودتين معدتين
للحرس والخدم وحوائط الصالة المذكورة مكسوة بالرخام

مستطيلات ومربعات بعضها ملون وبعضها أبيض وبارتفاع ١٫٥٠ متر وأما باقي الارتفاع أعني أعلى الوزرة الرخاميه فكسو بالبياض ومدهون بالبوية بالزيت ومنقوشة باشكال عربيه كما سيجيء وصفه بعد

ويعلو فتحة الباب تاريخ من لوح رخام ومكتوب باللغة العربيه (ادخلوها بسلام آمنين) أما الصالة الكبرى فمن ابدع ماعمل وهي مكونة من الصحن بالوسط وثلاثة لوانات ومربع الصحن مقاسه ١٠٫٩٠٠ × ١٠٫٩٠٠ متر واللوانات ١٠٫٩٠٠ × ٧٫٩٠٠ متر وسقف اللوانات والصالة الصغرى والحجر على ارتفاع ٦٫٠٠ متر مصنوعه من الكمرات الخشبيه ومصنوع بالشكل المعروف لدينا بالطبالى ومدهون بالبوية بالزيت بالوان زاهيه . أزرق وأحمر وأصفر (تذهيب) بالارضيات كالوان أصلية وأخضر وبرتقالى وبنفسجي كالوان اضافية ومقسمة الى أشكال هندسية عربيه بديعة الصنع

أما الصحن بالوسط فسقف على منسوب أعلى من اللوانات وبارتفاع خمسة عشر مترا ويظهر للرائي من الخارج

على شكل (كوبولا كبيرة) يعلوها سقف جمالوني متساوى الاضلاع ومغطي بالقرميد وبالجزء العلوى بالحوائط الاربع المحددة لهـا ستة عشر منورا يوجد ببعضها زجاج ملون بشكل مزاييك — ويحد الصحن ويفصله عن اللوانات ستة وثلاثون عامودا من الرخام الابيض موضوعه على ابعاد ٢٠٠ سنتي من المحاور وبكل ضلع ستة اعمدة وبكل زاوية ثلاثة أعمدة بشكل مخالف للمألوف أما تيجان هذه الاعمدة فمصنوعة على الشكل البيزانطي مما يدل على أنها استحضرت من ايطاليا ـ يعلو هذه الاعمدة عقود رخامية بشكل نصف دائرة مسننة سنجها ومزخرفة خناصرها من الجهتين ـ ويوجد جملة مكاسل (Niches) بحوائط الصالة ترتفع جلساتها بقدر ٦٠ ر٠ مترا من الارضية وبعمق ٥٠ر٠ مترا وبارتفاع ١٫٨٠ مترا ومكسوة بالرخام الملون أما حوائط هذه الصالة ولواناتها فمكسوة بالرخام بارتفاع الوزرة والاجزاء العلوية لغاية السقف مكسوة بالزليزلى الملون الجميل مما يدل على عظم أهمية هـذه الصالة كانها كانت معدة للملك ولمقابلة

المعتمدين السياسيين أما الاراضي فمبلطة بالرخام باشكال هندسية فالمراتب من رخام ابيض وما بداخلها برخام ملون وبوسط أرضية الصحن فسقية جميلة من الرخام مربعة طول ضلعها متران . وبكل ضلع أسدان من الرخام تخرج المياه من افواههما وتصب فى مجرى معدة لذلك بالارضية

الحليات المستعملة

تختلف الحليات عما لدينا من الآثار العربية والفاطمية وان كان الاصل فيها يرجع دائما الى التقاسيم الهندسية فمعظم حليات مبانينا القديمة مكون من جفون ومقرنصات وتواشيح وتواريخ اعلى الفتحات اما الطريقة التى اتبعوها فى تحلية مبانيهم فيرجع الاصل فيها الي القاعدة العامة وهي تقاطع خطوط مستقيمة أفقية ورأسية داخل أى شكل وعلى مسافات متساوية . بحيث أنهم يراعون موضوع الحليات في الامكنة المراد تحليتها وقت عمل التصميم الابتدائى فيكون وقعها للنظر كانها جزء من الحائط الاصلية ومتفرعة منها لذلك لا نجد في مبانيهم المختلفة حليات فى غير موضعها

ففي أى شكل كان . تجد ان الخطوط الاصلية والتقاسيم
الرئيسية المكونة للشكل العام بارزة وظاهرة وواضحة بحيث
تظهر للرائي من بُعد كأنها جزء من متمم لنفس المباني لا
مجرد حلية وضعت فيهما بعد حسبما ترآى . وكلما اقترب
النظر للشكل تظهر الخطوط الثانوية ثم الحلياب المنقوشة
بداخلها والاشكال ١ و ٢ و ٣ توضح لنا هذه الطريقة فنجد
أن الشكل ١ عبارة عن تقسيم أى سطح الى شكل مستطيل
مقسم بخطوط أفقية ورأسية الى مربعات بسيطة فالخطوط
الخارجية أظهر من الداخلية وعلى العموم فليس لها أى تأثير
جذاب للنظر ولكن بأضافة خطوط موائل متقاطعة بسيطة
عند نقط التقاطع والزوايا كما فى الشكل نمرة ٢ يحسن الشكل
كثيرا - واذا زدنا مثلا دوائر صغيرة داخل منصف
المربعات كما في الشكل نمرة ٤ يزيد الشكل حسنا مع
العلم بأن الاصل في الاشكال الثلاثة هي المربعات الصغيرة
كذلك يحصل على نفس النتيجة فى الحالة الثانية بالاشكال
من نمرة ٤ الى نمرة ٥

الموقع

تلاحظ لي أن معظم المبانى المهمة وضعت بحيث يكون المدخل العمومى دائما متجها نحو الجنوب الشرقى لكى يدخله الضوء معظم أوقات النهار ولهذا السبب خططت شوارع مدينة الحمراء بحيث أن اتجاهها يكون من الشمال الشرقى للجنوب الغربي فيتضح أن العرب فكروا حين تشييد مبانيهم العامة ومساكنهم أن يتخلل واجهاتهـا الاصلية الشمس معظم اليوم وجعلوا محلات نومهم على الواجهات القبلية ودورات مياههم على الواجهات الغربية وهذا مما يدل على أن فكرة النظام الصحي كانت معلومة لديهم وتشييدهم البلدة في سفح الجبل من قبلى جعلوا المدينة بوقاية من هبوب الريح البحرى

الاساسات

بنيت الاساسات على الطريقة المعتادة أعني بحفر الجدر حسب العرض المطلوب وعمل دكة بالخرسانة اذا لزم الحال

وبناء الاساسات بالقصص المعتادة ولم نجد شواذ لهـذه القاعدة فى تأسيس سراى « الكزار » بكردوفا فوجدنا طريقة بالتأسيس بالآبار مستعملة بسبب رخوة الارض وهذا يدل على أنهم كانوا على علم بطرق التأسيس الاخرى ومعظم الاساسات مبنية بالطوب بالرغم من وجود محاجر بجبال سيرا نيفادا

المبانى

على وجه العموم تتركب مبانيهم من دورين فقط اذ لم أجد ما يدل على انهم بنوا أكثر من دورين ارتفاعا بدليل اسماك الحوائط فالادوار السفلية لا يزيد سمك حوائطها الخارجية على قالبين ونصف والقواطيع الداخلية بسمك قالبين وفى الادوار العلوية يقل السمك بقدر نصف قالب هذا ما شاهدته اجمالا بالمبانى المعتاد اما مبانى الحكومة فكانت حوائطها اسمك من ذلك بكثير حسب مقتضيات الحال خصوصا بالمحلات الكبيرة الاتساع والمحلات المسقفه بعقود أو مصلبات أما المونة فمركبة من الجير والحمرة

(الخشنة) وجدت بعض محلات مبنية بمونة لونها قاتم مائل للسواد مما يدل على أن القصر مل كان مستعملا فى ذلك الوقت خصوصا بمحلات دورات المياه

الفتحات

جميع فتحات مبانى الحمراء عقود باشكال مختلفة ومعظمها بالشكل المعروف بنعل الفرس ويجيء بعده العقود النصف اسطوانية أما العقود المخموسة فقليلة الا انه يكثر استعمالها فى الفتحات الكبيرة للمحلات العمومية او ابواب المنازل اما العقود الموتورة فتكاد تكون معدومة اما العقود المستقيمة فلا أثر لها

واذا راعينا ان فتح العرب للاندلس كان عقب الوقت (الجوتيكي) وان كثيرا من مبانى الاندلسيين كانت على ذلك الطراز الشائع وقتها أمكننا نعرف ان ذلك كان من الاسباب التى استعمل فيها العرب العقود بكثرة ليظهروا مقدرتهم وفنهم الجميل الذى حل محل الجوتيكي

وجد ان معظم فتحات الشبابيك خصوصا بالادوار العلوية مزدوجة يفصلها عامود رخام بالوسط يعلوه عقدان للفتحتين والمجموعة اسفل عقد واحد خارجي فيكون العقدان للحلية والعقد العام هـو العقد الرافع للثقل الواقع عليهما تشبيها بالطريقة الجوتيكية ولكنه اجمل منظرا

الارضيات

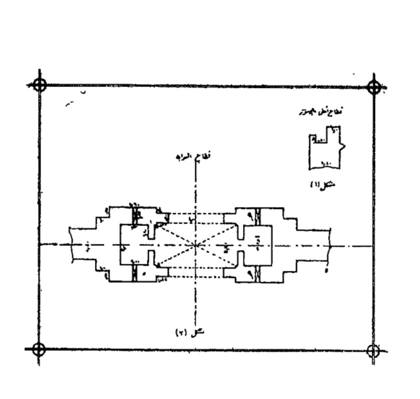
معظم الارضيات كما سبق شرحه مبلطة بالرخام او بترابيع الزليزلى السميك وذلك في المبانى العامة المهمة وقد وجدت امثلة (بالمحلات الاقل اهمية مبلطة ارضياتها بالطوب (على سيفه) برسومات مختلفة منهـا ما هـو على شكل السلسلة ومنها ما هو موضـوع على درجة (٤٥) وممـا يلفت النظر وجـود طوب بالارضيات بلون غامق مائل للزراقا مما يدل علي انهم كانوا يستعملون طينة مخصوصة

وقد وجدت بعض امثلة بوجهات بعض المباني الغير مبيضة بها طوب احمر وازرق واصفر مبني بشكل حليات كالطريقة الحديثة (Brioue Apparcut)

السقف

الموجود منها كله مغطي بالقرميد وهي اما مصنوعة على الشكل الجمالونى البسيط المعتاد او مائل لجهة واحدة ولم اجد امثلة لاسطح مستوية عادية كما هو الحال عندنا وبديهي ان السبب كثرة الامطار . اما القرميد المستعمل فيختلف عن القرميد المعتاد المعروف بقرميد مرسيليا بل هو عبارة عن قطع من نخار بشكل قوسين منعكسين ملصوقين ببعض وتعطي عند الزوايا بقرميد من نخار بشكل نصف دائرة طول القطعة نحو من ٠٫٥٠ مترا وهذا يرص على الاسطح ويلصق بمونة الجبس وهو يشبه القرميد الانجليزى الرخيص المعروف Shurgles

كنت اود الاطالة فى الشرح كتابته ولكنني خشية الملل سأشرح لحضراتكم بالتفصيل شفهيا اثناء عرض الصور بالفانوس السحرى ،؟



شكل (١)

شكل (٢)

مطبعة أبي الهول بشارع محمد علي بالقاهرة
بجوار دار الكتب الخديوية لصاحبها عثمان فهمي